العرب
الإثنين 2019/08/05
السنة 42 العدد 11429

مغامرة البحث عن كوكب بديل بعد خراب الأرض

«أنيارا» دراما عن العزلة الإنسانية والذكريات القاسية والمستقبل المجهول

لا شك أن قصة البحث عن بديل عن الأرض، فضلا عن استكشاف كواكب ومجرات أخرى، حظيت باهتمام كبير في سينما الخيال العلمي. ففكرة المغامرة والتحدي في الرحيل نحو كوكب آخر كانت وحدها تستحق أن تتم معالجتها سينمائيا، وخاصة مع ما تحمله من مفاجآت ومخاطر ومصاعب.

طاهر علوان
كاتب عراقي مقيم في لندن

بقيت العبارة السحرية "ماذا لو؟" هي التي تحرك العديد من أفلام الخيال العلمي وتدفع باتجاه المغامرة والمجهول ومحاولة الإجابة عن غموض الأماكن غير المرئية التي وصل إليها الكائن البشري، في حل بديل عن الأرض المهددة بالخراب.

الفيلم استلهم قصته من قصيدة للشاعر السويدي نوبل مارتينسون، فأتى مُراوحا ما بين شكل الخيال العلمي والشاعرية الحسية

وقدمت سينما الخيال العلمي العديد من الأفلام من هذا النوع نذكر منها الفيلم الشهير والمؤسّس "رحلة إلى القمر" (إنتاج 1902)، وفيلم "رحلة إلى الكوكب السابع" (1962) و"كوكب فامباير" (1965) و"سولاريس" (1972) و"النجمة المظلمة" (1974) و"ستارتريك" و"الثقب الأسود" (وكلاهما من إنتاج عام 1979)، مرورا بفيلم "ممر النجوم" (1994) و"رحلة إلى المريخ" (2000)، وصولا إلى "نجمي" (2014) والعديد من الأفلام الأخرى.

وفي فيلم "أنيارا" للمخرجين بيلا كاجيرمان وهوغو ليليا سوف نخوض في الثيمة ذاتها من منطلق الفناء الأرضي وبحث الناجين من البشر عن ملاذ آمن، حيث يتم إنشاء مستعمرة فضائية ضخمة تحت اسم "أنيارا" يفترض أنها تقع في كوكب المريخ، وهناك يجد الجميع أنفسهم في عالم مترف يوفّر لهم كل ما يحلمون به فيلهون في الجلوس في المقاهي وزيارة المتاجر وأماكن اللعب.

ويفاجأ النازحون إلى المريخ بإعلان قبطان السفينة (الممثل آرفين كانانيان) أن عطلا خطيرا أصاب المركبة ولن تتمكن من العودة بحسب المدة التي تم الاتفاق عليها، وهي أقل من شهر، وأن الركاب على متن المركبة سوف يضطرون إلى البقاء مدة أطول، وربما تمتد لسنوات.

وتسري مشاعر الإحباط في أوساط النازحين ويعبرون عن ذلك بصراخ هستيري، ولكن من دون جدوى، ثم يتخذ السرد الفيلمي مسارا آخر من خلال التتابع الزمني في كل قسم من أقسامه، وذلك من خلال ظهور عناوين بالمدة الزمنية التي مرت والتي تمتد لسنوات.

وفي المقابل، يتشكل نسيج اجتماعي غرائبي، إذ تتولى ميماروبن (الممثلة إيميلي جونسن) إدخال المشاركين في برنامج يشبه التنويم المغناطيسي فيخلدون إلى ما يشبه السبات وتلاحقهم خلال ذلك ذكريات الطفولة والعديد من الذكريات المؤلمة التي يسعون للتخلص منها.

لكن ما لم تكن ميماروبن تعلمه أن النسوة كن قد انتظمن في تجمع سري تتم دعوتها إليه وتجري فيه طقوس في إطار عدم انقراض البشر على سطح الكوكب الجديد. وواقعيا لم يكن ذلك كله إلا محاولة لانتشال العديد من المسافرين إلى الكوكب الجديد من صدمة البقاء الطويل فيه والتركيز على فكرة المغامرة والاكتشاف التي لم يسبق أن مروا بها في حياتهم. ولنمض مع هذه الأحداث ليتشكل نسيج انفعالي من العلاقات المضطربة بين الشخصيات التي لا تعرف مصيرها وما هو مستقبلها؟

شخصيات لا تعرف مصيرها وما هو مستقبلها؟

ويواجه الركاب قدرهم بعد نفاد المؤن ويتم إطعامهم بدائل يتم تصنيعها مختبريا، ومع أنهم يتقبلونها على مضض، إلا أن ذلك سوف يتحوّل إلى واقع حال بالتزامن مع مساعي إلحاق السفينة بمدار فضائي ينقذها من البقاء عالقة في المدار المجهول.

ولا شك أن هناك مساحة تأملية واضحة في هذه الدراما الفيلمية، وذلك من خلال استلهام قصة الفيلم من قصيدة للشاعر السويدي نوبل مارتينسون، ولهذا يمكن القول إن المعالجة الفيلمية قد تراوحت ما بين أسلوب وشكل الخيال العلمي وبين الشاعرية التي تزخر بالصور الحسية في إطار جمالي مختلف تم من خلاله إنقاذ الإيقاع الفيلمي من الترهل والرتابة.

ولعل كثرة وتنوع الشخصيات كانا عاملا آخر حمل في طياته مسألة السيطرة على مسارها في إطار الدراما الفيلمية من جهة، وتقديم الشخصيات الأكثر تعبيرا عن الأزمة من جهة أخرى، وهو جانب مهم برع فيه المخرجان في تقديم شخصيات درامية متنوعة.

وتنهار خيالات الشخصيات وهي تواجه قدرها في مواجهة حقيقة أن ذلك الحشد عالق في أجواء مجهولة وينتظره مستقبل غامض، ولهذا يتشبثون بالخيال والميتافيزيقا علهم يجدون فيها ملاذا يخرجهم من الأزمة.

لكن ما لم يكن متوقعا هو أن تتحوّل خيالات وأحلام الشخصيات السلمية إلى خيالات مخيفة وكوابيس لا تنتهي، مما يثقل الأمر على ظهر المركبة الفضائية. وإذا كنا بصدد الشخصيات الدرامية فقد بلورت الأحداث وجود ميماروبن كند قوي في الأحداث وتحوّلها إلى عنصر فاعل بإحاطتها بكل من حولها وانتقالها بين الناس التوّاقين للعودة إلى ديارهم.

ولعل المعالجة الفيلمية للأحداث قد تبعثرت على الرغم من جمالية الأداء وتنوع الشخصيات، إلاّ أن الحل الإخراجي كان يتجه، اضطرارا كما يبدو، إلى إيجاد بدائل تخفّف من محدودية المكان الذي وجدت الشخصيات نفسها في وسطه، ولهذا كان لا بد من تلك المعالجة التي تشطّت مرة أخرى إلى جماعات تمارس حياتها بشكل طبيعي.

إنها دراما عن العزلة الإنسانية والذكريات القاسية والمستقبل المجهول، كل ذلك اجتمع في فيلم "أنيارا" الذي سعى إلى إقناعنا بأن ما يجري هو في كوكب ناء عن الأرض، بينما نحن نرى أن كل شيء ذو طبيعة أرضية لا يخرج منها.

معارض رقمية

فاروق يوسف
كاتب عراقي

ينظم غاليري "أتيلييه دو لو مير" في باريس معرضين هما "أمسيات فان غوخ" و"أمسيات كليمت". وهما معرضان رقميان، لا أعمال أصلية فيهما.

هناك صور دقيقة للأعمال تم التقاطها من أجل غايات بحثية ومُتعويّة في الوقت نفسه. تلك تقنية صارت تتبعها بعض المتاحف والصالات الكبيرة في العالم تحاشيا لنقل الأعمال الأصلية من أماكنها لما يتطلبه ذلك النقل من تكلفة مالية عالية، كما تتيح تلك التقنية إمكانية تسليط الضوء على جوانب خفية من الأعمال الفنية، لا يمكن التعرّف عليها من خلال النظر المباشر إلى تلك الأعمال.

هي طريقة في إرشاد المتلقي إلى مواقع القوة ونقاط الضعف في العمل الفني من خلال صورته.

وفي متحف "فان غوخ" بأمستردام رأيت ذات مرة تطبيقا لتلك التقنية قريبا من أعمال أصلية للفنان. وبالرغم من قيمتها المعرفية، فإن تلك التقنية لا تغني عن رؤية الأعمال الأصلية. فالصورة مهما بلغت دقتها تظل غير الأصل. كما أن المعرفة التفصيلية لأسرار العمل الفني لا تغني عن المتعة التي يكتسبها المرء حين يقف مباشرة أمام العمل الفني. سيكون من الصعب أن نقارن بين الأصل وصورته.

وإذا ما كان تبني عرض الصور محاولة لنشر الوعي الفني، فإنه ينطوي على خطر الانزلاق إلى وهم الاكتفاء برؤية الصور والتخلي عن السعي إلى رؤية اللوحات الأصلية.

حينها يقول المرء لنفسه "لقد رأيت كل فان غوخ في أمسية واحدة"، متناسيا أنه كان كمَن يتصفّح كتابا عن حياة الفنان وتجربته.

هنا تكون التقنية قد التهمت جزءا من الحقيقة التي تقوم على أساسها لذّة رؤية الأعمال الفنية. ولقد صار تقليدا بالنسبة إلى فئات من الشباب المهووسين بالتقنيات الحديثة أن يهتمّوا بطرق النظر الجديدة قافزين على الطرق التقليدية التي تعتمد على الوقوف مباشرة أمام العمل الفني.

لقد حلّت الصورة محل الأصل، وفي ذلك يكمن قدر من الاحتيال الذي لا يستقيم مع صدق الفن ونقائه ودعوته إلى التسامي.

تورينغ وآلته المُدهشة التي قهرت النازيين في عرض مسرحي فرنسي

"آلة تورينغ" التي تعرض في مسرح سان ميشيل بباريس تسرد حكاية عبقري بريطاني في علوم الرياضيات، وواحد من رواد المعلوماتية، عاش حياة قصيرة مليئة بالابتكارات العلمية، وانتهى نهاية مأساوية، ولم تكرّم روحه إلاّ في الأعوام الأخيرة.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي مقيم في باريس

"آلة تورينغ" مسرحية وضعها الفرنسي بونوا صوليس، عن حياة عالم الرياضيات والمتخصّص في دراسة الخطوط السرية والوثائق المرموزة، العبقري البريطاني آلان تورينغ (1912–1954)، الذي ارتبط اسمه بآلة ذكية اخترعها عام 1936، ومهّدت لمولد الكمبيوتر.

هذه الآلة المتطورة في زمنها سمحت بفك شيفرة "إنيغما"، الآلة التي كان النازيون يستعملونها لبث رسائل مشفرة، وساهمت بفضل مخترعها في انتصار الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية بشهادة تشرشل نفسه.

غير أن تورينغ لم يجن من اختراعه المدهش ذاك أي مغنم، وظل بطلا مغمورا طيلة حياته، فقد أرغمه جهاز الاستخبارات البريطانية على الصمت، قبل أن يساق إلى المحاكم بتهمة الشذوذ الجنسي، حين كان ذلك الشذوذ جريمة في بريطانيا، ويسلط عليه حكم بالخصاء الكيمياوي عام 1952.

ولم تدم حياته بعدها أكثر من عامين، إذ اختار الانتحار في سن الواحدة والأربعين. وبموته تناساه الجميع حتى عام 2013، حين قررت الملكة ليزابيث الثانية تكريم ذكراه، والاعتراف بمكانته العلمية، وسبقه في اختراع تلك الآلة العجيبة، تلاه شريط للمخرج النرويجي مورتن تيلدوم بعنوان "لعبة التقليد".

كانت حياة تورينغ أشبه بتراجيديا إغريقية بما حوته من برومثيوسية ومأساوية. برومثيوسية لأن تورينغ أسّس طريقة جديدة لفهم العالم انطلاقا من نمط حسابيّ مخصوص، فالمعروف أن مبدأ الحساب الذي يستعمل منذ فجر التاريخ لم يخضع قبل تورينغ لتحديد صارم عن قابلية الحساب، للتمييز بين ما يمكن احتسابه وما لا يخضع للحساب.

كان انتحار تورينغ نهاية مسيرة علمية خاطفة، رغم أنها كانت حاسمة في المجال التقني والعلمي الذي يميز ثقافتنا اليوم

ومأساوي لأن ذلك المسعى قضى عليه، وكان انتحاره نهاية مسيرة علمية خاطفة لم تدم أكثر من عشرين سنة، رغم أنها كانت حاسمة في المجال التقني والعلمي الذي يميز ثقافتنا اليوم، أي سيادة المجتمع الرقمي، فما نحن سوى الورثة المباشرين لتورينغ الذي يعدّ الأب المؤسس لتلك الثورة.

رأى تورينغ النور عام 1912 في لندن وفصل منذ ولادته عن أبويه، فقد كان والده متصرفا كولونياليا في الهند في ذلك الوقت، وعهد بتربيته لمربّية. ولما بلغ سن المراهقة اكتشف في نفسه أمرين، الشذوذ الجنسي والحس العلمي، ما جعله مهمشا في مجتمع متشبع بثقافة العصر الفيكتوري وآدابه.

وفي كامبريدج، مركز الحياة العلمية البريطانية حيث بدأ حياته طالبا، ثم مدرسا وباحثا، لم تكن تلك الازدواجية محل نقاش. ولكن المجتمع بأعرافه وتقاليده كان له بالمرصاد، رغم أن تورينغ كان يعتمد على العلم لفهم من هو، فمشكلته تطرح عليه كرجل علم يحاول فك شيفرتها، عسى أن يسلط الضوء على كينونته.

تلك إذن هي الحكاية المدهشة التي يسردها بونوا صوليس في شكل سيرة ذاتية تتخللها ارتدادات إلى الوراء لتسليط الضوء على المراحل الكبرى في حياة عالم الرياضيات البريطاني، فيقودنا إلى أروقة كامبريدج وقصر بليتشلي بارك حيث يحاول أفضل مفكّكي الشيفرات البريطانيين فهم طريقة اشتغال "إنيغما" الألمانية، وكذلك عبر الشوارع الخلفية المعتمة لمدينة مانشستر.

ورغم النسق السريع الذي يستغرق ساعة ونصف الساعة دون استراحة، لا يعدم النص لحظات وجيزة يتوقف فيها لبعض المسائل الحميمة التي تخص حياة تورينغ، بعيدا عن الصخب الفكري الذي كان يعيش فيه.

غاص بونوا صوليس في حياة هذا العالم الذي أهمل التاريخ ذكره، عدا بعض المتخصّصين من أهل اللوغاريتمات والإعلامية، لينطلق من بديكور بسيط، يتكوّن من مكتب وسبورة سوداء وبضعة كراسيّ ودرّاجة و"كنبة"، أي ما يكفي لتشخيص مختلف أمكنة الحكاية، تاركا للمتفرج إمكانية تصوّر بقية الديكور. ثمة أيضا فيديوهات تعرض على مكتبة في عمق الخشبة، اتخذها المخرج وسيلة للولوج إلى عقل تورينغ، حيث تتوالى الرموز والمعادلات الرياضية بغير انقطاع.

هذه المسرحية التي لاقت نجاحا عند عرضها أول مرة في مهرجان أفينيون، تلاقي النجاح نفسه بفضل الأداء الرائع لبونوا صوليس، مؤلف النص، فقد استطاع أن يتقمص شخصية رجل جمع متناقضات كثيرة، فهو لامع وخجول، لطيف وصبياني حدّ التوحّد، لا ينفك يتأتئ ويبتسم ويقضم أظفاره ويضحك بغباء. فيذكرنا بدوستن هوفمان في "رجل المطر" أو توم هانكس في "فوريست غامب"، إلى جانب الأداء المقنع لأموري دو كراينكور الذي تقمص عدة أدوار، من ضابط شرطة مريب إلى زميل مغرور أو عشيق سكران، كل ذلك في نبرة لا تخلو من مزح وطرافة.

بداية سيادة المجتمع الرقمي